رد على وليم مارتان
هل طلب الشيعة الحماية من فرنسا؟

الشيخ سليمان الظاهر

نشرت القبس الدمشقية في عددها ٢٣٣ الصادر في شعبان١٣٥١هـ و ٢٠كانون الاول سنة١٩٣٢م تصريحات لأحد الكتاب الفرنسيين وهو المسيو وليم مارتان وكانت قد نشرت لأول مرة في جريدة دوجنيف وعربتها (القبس) وأعاد التنويه بها السيد نجيب الريس بكلمة نشرها تحت عنوان (النصارى والشيعة في نظر فرنسا) وصدرت ضمن كتابه الموسوم (نضال):

ونظراً لما تضمنه آراء وليم مارتان من امور كانت مورد استياء الشيعة واستنكارهم، فقد تولى الرد عليها أحد علماء الشيعة ونشر في الجريدة نفسها وهذا هو نص الردّ:

طالعت افتتاحية العدد٢٢٧ من قبسكم الاغر المصدرة بعنوان آراء بعض الفرنسون في سورية وبخلاصة آراء وليم مارتان الكاتب الافرنسي صاحب جريدة دو جنيف في مهمة دولته في سورية وأعجبت جد الإعجاب بتعليقكم على تلك الآراء ولا سيما بما يتعلق بتعرضه للاقلية الشيعية وانها مشمولة مع النصارى بحماية امته بزعمه وتحليلكم موقف الشيعة ومكانتها العددية في الطوائف اللبنانية وعزة جانبها في لبنان وعربيتها الصريحة واخوتها الحقيقية للطائفة السنية وما إلى ذلك من الابحاث التي اصابت الواقع ولا يرتاب فيها إلا كل مكابر او من يرمي إلى اهداف اخرى لا يثمر فيها التفرقة الممقوتة واني مع اكباري لهذه الافتتاحية لا أرى مندوحة عن تأييد ما جاء فيها من الآراء السديدة ودحض ما لعله يعلق ببعض النفوس الضعيفة من الغربيين وغير الغربيين في موقف الشيعة الصريح حيال اخوانهم السنين المسلمين واخوانهم العرب وهم منهم من الصميم وحيال القضية العربية الخاصة والعامة وما إلى ذلك مما فيه مقنع للمتكلمين عنهم بغير الحق وردعهم عن التعرض لهم عند سنوح كل فرصة للتفريق ولإصابة اغراضهم السياسية من ذلك التفريق وهم اعرف بامورهم واجدر من كل من ينصب نفسه من الغرباء للذود عن حقوقهم وصاحب البيت أدرى بالذي فيه.

الشيعة مسلمون

المسلمون فرقتان كبيرتان السنة والشيعة وما كانت الاختلافات المذهبية بينهم إلا أموراً اجتهادية لا تعدو اختلافات المذاهب الاربعة السنية ولا يصل اثرها الى جوهر الدين وكل ما جنوه من ثمرات التفريق في الاحقاب الخالية لم يكن من غير صنع السياسة ومن عمل المتغلبة ولا اثر

فيه البتة للاختلاف المذهبي وان صبغته السياسية الجائرة بالوانه وهم اليوم بفضل تداعي الأمم الغربية اوجهاً ويداً ولساناً إلى انتقاص اطراف بلادهم بشتى الوسائل اخوان لايتناكرون ولا يتدابرون وكلهم في بقعة من بقاع الارض وفي كل مصر من الامصار على اختلاف اجناسهم وتباعد دبارهم عامل على صدغارات الاعداء وعلى الرجوع إلى الوحدة الإسلامية التي لا تتجزأ لرد تلك الغارات عن العبث بدينهم واستقلالهم.

لم يدع المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس الشريف في العام الماضي من مائة وسبعة واربعين زعيما دينياً ودنيوياً من مسلمي الارض كافة مجالا لترديد اعدائهم كلمة التفرقة بين فرقهم وكان في المؤتمرين المسلم الشيعي الإمامي والزيدي والمسلم السني والخارجي الأباضي وكادت تنحصر الإمامة بالمصلين في المسجد الاقصى في الجمعات وغير الجمعات باعضاء المؤتمر وغيرهم طيلة اجتماعات المؤتمر بالإمام الشيعي الإمامي حتى كان يبلغ عدد صفوف المسلمين المؤتمين به ما يربو على عشرة آلاف مصل وقد رددت مدى هذه الظاهرة الشريفة وغيرها من ظاهرات الوحدة الإسلامية في مفاوضات المؤتمر صحف فلسطين وسورية ومصر والعراق والصحف الاجنبية على اختلاف لغاتها وعلى مرأى ومسمع من مراسليها الذين لم تفتهم جلسة من جلسات المؤتمر ولا اجتماع من اجتماعاته ولا نظن ان هذه الدلائل الناصعة على وحدة الفرقتين السنة والشيعة وهذا الحدث الإسلامي العظيم في تاريخ المسلمين في هذا العصر مما جهله وليم مارتان واضرابه ولكنه لا يكتب للتاريخ على وضح الحقيقة بل يكتب هو وغيره للسياسة ولمصلحة امته فحسب.

شيعة سورية عرب

انشيعة سورية عرب باصولهم وعرب بلغتهم وهم اعرف بانسابهم العريقة الصريحة من الغريب عنهم ولا يضيرهم شيئاً انكاره عروبتهم والسنة اخوانهم في العروبة كما هم اخوانهم في الإسلام وان جل مسيحيي سورية يرجعون إلى اصول عربية وان حملت السياسة فريقاً منهم على انكارها والتمسك بالاصل الفينيقي وما الفينيقيون الذين يزعمون الانتساب اليهم إلا أمة بادت كما بادت ثمود وعاد وطسم والعماليق.

شيعة سورية والانتداب

ان شيعة سورية كسنيي سورية ومعتدلي المسيحيين السوريين لم يكونوا راضين بالاوضاع الشاذة التي حملها اليهم الانتداب منذ بدء الاحتلال إلى يوم الناس هذا وان ما قاموا به من الاحتجاجات عليها ومنها التجزئة الممقوتة ما لو جمع لبلغ مجلداً ضخما وان جبل عامل وقد رافقت قضيته في كل الادوار قد قام بنصيبه من الواجب في مقت تلك الاوضاع وان عندي من المذكرات الدالة على مشاركته العاملين في تحرير البلاد واستقلالها ما لو جمعته لبلغ كتابا.

حماية فرنسا الاقلية الشيعية

زعم وليم مارتان ان من جملة واجبات امته حماية الاقلية الشيعية ولست ادري ولا المنجم يدري ما الذي حمله على هذا الزعم الغريب فإن ادعى ان الاقلية الشيعية في سورية عامة وفي لبنان خاصة طلبت من دولته حمايتها فليبين اسماء الطالبين وليبين ممن طلبتها هل من اخوانها المسلمين السنين ام من اخوانها المسيحيين ام انها تبرعت بتلك الحماية الموهومة؟

ان الشيعة لم يطلبوا الحماية يوم كانوا اقلية ضئيلة في جنب اخوانهم السنين يوم كان لهم الحكم والسلطان كما طلب اخوانهم المسيحيون او كما تبرع بها بالاحرى لمصالحهم لا لمصلحة المسيحيين بعض الدول الغرب فكان لتلك الحماية اثرها غير المحمود عليهم فإذا لم يطلبها الشيعة في عهد الحمايات فكيف يطلبونها اليوم وفي ذلك اليوم كانوا اقلية وهم اليوم ليسوا باقلية والحمد لله لا في لبنان وهم كثرة في انفرادهم واكثر بانضمامهم إلى اخوانهم السنين والمعتدلين المسيحيين ولا في سورية وهم والسنة سواء.

وان كانت تبرعت دولته بحمايتهم فقد رأينا اثر تلك الحماية من بدء الاحتلال إلى اليوم رأيناها فيما رأيناها فيما اصاب العامليين منمصائب لانشاء أن نعيد حديثها وحسبهم تلك الضريبة التي فرضت مائة الف ليرة واستوفيت اضعاف ذلك دع اموراً أخرى جرت هي كل ما في قوة الغالب المنتقم من تدمير وارهاق رأيناها في توزيع الحقوق والوظائف والمغانم في لبنان على النسبة الطائفية فكانت في العدد الثالثة وفي التوزيع الأقلية الضئيلة ولا ادل على تلك الحماية المزعومة من توزيع عشرين الف ليرة ونيف على المدارس الأهلية اللبنانية ولم يصب مدارس جبل عامل منها شيء ولا مدارس بعلبك.

رأيناها في لامساواة في المغارم والمغانم فعلى شيعة لبنان الغرم وليس لها شيء في الغنم هذا مثل من امثلة حماية الأقلية الشيعية المتبرعة بها حكومة الانتداب بزعم (وليم مارتان) وحسبنا بهذا النموذج من الحماية عن الإفاضة التي نخشى معها سآمة القراء.

الشيعة تطلب الوحدة لا الحماية

الشيعة طلاب وحدة لا طلاب حماية وإذا تبرعت حكومة الانتداب بهذه الحماية واحتملت عبأها فإن شيعة جبل عامل ولبنان لا يرتاحون اليها وهم لم يبلغوا منها مأربا ويرون مصلحتهم برفع وطئتها الثقيلة عن فرنسا وضمهم إلى سورية وإلى اخوانهم المسلمين السنين وإن كانوا اكثرية.